

## الكتابة بين الموت والحياة

2015-02-10 علي حسين عبيد

الكتابة وسيلة لنقل المعرفة، وهي اداة لنقل الافكار من المصنع الى المستهلك، فعندما تدور في عقل ما أفكار محددة، ويرغب صاحب الافكار بنقلها الى الآخر، فسوف تكون أمامه وسيلة اللغة، هي التي ستساعده على نقل افكاره من عقله الى الورق، وعندها يمكن أن تكون واضحة وقابلة للتطبيق، لذلك تعد اللغة مصنع الافكار، ولا يمكن الاستغناء عنها في أي حال، لسبب واضح أن تطور الانسان محكوم باللغة، فإذا أصبحت الاخيرة تعاني من العلل، سوف يؤدي هذا بدوره الى ندرة وصعوبة في توصيل الافكار، لذلك حمل عنوان هذه المقالة، تساؤلا واضحا وخطيرا في الوقت نفسه، هل الكتابة في مجتمعنا بطريقتها الى الموت، واذا جاءت الاجابة بالنفي، فهل تعيش حالة التآرجح بين الموت والحياة؟، واذا كان الامر كذلك، فالامر يغدو اكثر تعقيدا، كوننا مجتمع لم يعيش بعد سوى حالات الحرمان والعوز والتجهيل.

أن المؤشرات التي يمكن استنباطها مما يجري في المجتمع من علاقات متنوعة، تدل على ضعف الكتابة الفكرية، فضلا عن غياب المفكرين بسبب العزلة التي ضربوها حول ذواتهم، وهناك دلائل تشير الى ضعف الكتابة وهبوط مستويات التعبير من خلالها، منها على سبيل المثال ما نطلع عليه من كتابات مختلفة في مواقع التواصل الاجتماعي ومنها الفيس بوك، إننا من خلال هذه الكتابات نستطيع أن نستدل على مستوى كتابي هابط، وهذا دليل على تراجع الكتابة، وعجزها عن اداء دورها المفترض أو المخطط له أو الدور المطلوب من اللغة.

وقد يعزى السبب الى قلة التدريب على الكتابة وما شابه من اسباب، ولكن المشكلة بالأساس تكمن في ضعف الرغبة على التدريب وليس غياب التدريب او المدربين، فحتى لو توافرت دورات تدريبية على الكتابة نادرا ما نلاحظ اقبالا كبير واندفاعا الى ذلك، وعندما تغيب الرغبة في التعلم، تصبح المشكلة ذات بعدين، الاول في الكتابة. والثاني في العزوف عنها، أما الأسباب فهي تتعلق بالفرد والمجتمع، وحتى الذين يتقنون الكتابة أخذت أفكارهم بالهبوط والاضمحلال، وهذا بعد آخر يضاف الى الابعاد التي تجعل الكتابة متأرجحة بين الموت والحياة.

وآمة ملاحظة آخرى آتعلق فى هذآ الجانب وهى سيطرة الصورة على وسائل التعبير وآآوصيل المختلفة، اذ بات الإنسان أكثر تقبلا للصورة وآآعامل معها بدلا من آآعامل مع الكلمة والآفكار، ولعل الأمر آتعلق بسهولة وسرعة آآعامل والآسآعاب، فالإنسان مثلا آفضل أن يشاهد شاشة التلفاز ساعات متواصلة، لكنه غير مستعد أن آصرف ربع هذآ الوقت مع الكلمات والقراءة وآآكتابة والآفكار، لذلك آفضل الصورة فى الشاشة وفى المطبوع آضا، لما لها من آآآثر سريع على ذآآقته، من دون أن آآطلب منه بذل سلسلة من آآآفكر بالكلمات للفهم والآسآعاب.

ولعلنا نآفق على أن هناك معادلة لا آمكن إهمالها، تنص على ما آلى: (كلما آآسنت لآتنا آآسنت أفكارنا)، هذآ العلاقة بين اللغة والآفكار، قلما نآنبه لها، ونعنى بذلك الذى آآعاملون مع الكلمة والذى آرسمون أفكارهم من خلال الحروف كى آقدموها لمن آآآاجها، فآتى هؤلاء باتوا أقل إهتماما بآآسآين وسآلآتهم اللغوية، فباتت الأفكار آعانى من الضعف، وأآآانا من الشآة، لآنعكس ذلك على الواقعآن الآقافى والفكرى، والآآآجة بدورها سوف نآنعكس على المشهد العملى للمآآمع، لنصل الى نآآآة مؤدآها، عندما تضعف الآآآة تضعف الأفكار، وآشآ الآآآآد، وآآآذ آآآنا طابعا واحدا، آفآقر للآنوع وآلموح والآآآآد، وقد آعزو بعضهم آآرجح الآآآة بين الموت وآآآة الى مشآة عدم معرفة المآآمع او معظم مكوناته كآفآة آآعامل مع اللغة، وربما آصح هذآ الرآى الى آد بآعد، فهناك مشآة فعلىة فى معرفة اللغة بصورة آآدة، او آتى مقبولة، ولكن السبب هنا آتعلق بالآفراد أنفسهم وبالمآآمع آضا.

فهنآك عزوف عن آعلم اللغة، وعدم طموح ورآبة فى إآقانها وآآعامل معها، وآآعب هنا لآس فى اللغة، وإنما بالمآآمع نفسه، لذلك آنبغى أن آعاد النظر فردىا وآمعآى فى هذآ الظاهرة، ونعنى بها ظاهرة عدم الآهتمام باللغة والآآآة، ولا بد أن آآم الآآآآط على أعلى المستويات المسؤولة وآلمهآمة بهذا الأمر، من آجل النهوض معا وبآوة لمعالجة هذآ النقص الآآآر من خلال إقامة الدورآت اللغوية بصورة متواصلة، لكى آآمكن المآآمع (وكل من آآآاج الى لغة متطورة وسلىمة) من الدآول فى هذآ الدورآت الآعلآمآة، وأن آآآشر آآآافة آآدة آمكن أن نآلق عليها آآآافة آعلم اللغة والآآآة.

وبهذآ الطرآفة تكون علاقة الفرد والمآآمع مع اللغة متواصلة، إذ آآاح للآمع أن آعبروا عن

افكارهم بوضوح من خلال اللغة وكتابة افكارهم ورسمها بالحروف وطرحها للآخر، لكي تكون محط الاهتمام والتداول، وهكذا يمكن للجميع ان يشترك في هذه المهمة، أما فيما يتعلق بالمفكرين الذي يمتنون كتابة الافكار وعرضها كسلعة ربحية، فهذه الشريحة مطالبة ايضاً، بالتعامل مع الكتابة بان دفاع اكثر وادق، حتى يكونوا نموذجاً للآخرين باعتماد منهج كتابة الافكار من اجل تطوير الفرد والمجتمع.